ملاحظات
في مسار تاريخ الخليج العربي
خلال الفترات التي سبقت تاريخ الإسلام

بقلم : د. سامي سعيد الأحمد

رغم أهمية منطقة الخليج العربي الكبيرة سواء في الوقت الحاضر أو العصور القديمة ودورها الفاعل الذي لعبته بالتجارة العالمية وما يتبع ذلك من العلاقات والتأثيرات الحضارية، فإنها لم تحظ بالاهتمام اللازم الذي يتناسب مع أهميتها والدور الذي لعبته وما قدمته من إسهامات في حقل المدنية . فقد كانت منطقة الخليج حلقة الوصل بين بلدان الخليج وشرق أفريقيا وشبه القارة الهندية وأرض الرافدين . وما كشفته الحفريات الأثرية في مختلف أجزاء الخليج كالمواقع البحرينية والسعودية والعمانية يشير إلى هذا النقص الذي يستوجب التلافي . فبفضل موقع الخليج الجغرافي المهم والمسيطر على طرق التجارة العالمية المؤدية إليه صارت ذات أهمية بالغة الأمر الذي يفسر تعرضها منذ أقدم العصور للغزاة والطامعين من ناحية ومكاناً استهدفت الرحيل إليه وسكنى ساحليه الشرقي والغربي الكثير من الأقوام والقبائل . ولنا في جزر البحرين وعمان أمثلة لذلك . فإلى عمان انتقلت قبائل الأزد منذ فترة مبكرة[١] .

وفي فترة الدعوة الإسلامية كانت هناك قبيلة أخرى قد استوطنت عمان لا تمت للأزد بصلة هي بن سامه بن لؤي[٢] . وارتحلت إلى البحرين الكثير من القبائل منها ما استوطنته واتخذته وطناً بديلاً وأخرى اتخذته كمنطلق للرحيل إلى منطقة أخرى . أدرك أهمية منطقة الخليج العربي الاستراتيجية حكام العراق الأوائل منذ أقدم العصور التاريخية كما سنرى . وكانت البحرين تمثل أرض السلام والفردوس الأرضي بالنسبة للعراقيين القدامى وهي الأرض التي، باعتقاد السومريين، اختارتها الآلهة لسكنى زيوسودرا (بطل الطوفان بالقصة السومرية والذي تسميه النسخة الأكدية للملحمة أوتونابيشتم) الأبدي الذي منحته الآلهة الخلود جزاءً له على الدور الذي أداه في الطوفان[٣] . وحتى ذكرت بردية هاريس الكبرى في عهد الفرعون رعمسيس الثالث (١١٨٢ - ١١٥١ ق.م.) أن هذا الملك قد أرسل إلى بونت (في الغالب الصومال الحالية) سفناً ضخمة مع سفن أخرى مرافقة لها أبحرت من بحر موقديئي الذي يطابقه الكثير من الباحثين مع الخليج العربي . فقد أمر هذا الفرعون المصري بصنع سفن كبيرة (معروفة باللغة المصرية القديمة باسم منيش) في كريكش (طرابلس في شمال سورية) من خشب التنوب أتى به من بلاد ناجا الجبلية التي جرتها له الثيران ثم أنزل السفن إلى نهر الفرات التي سارت به حتى الخليج العربي فبحر العرب إلى بونت[٤] . ولا نريد أن نكرر أهمية منطقة الخليج التي أدركها الإسكندر المقدوني (المتوفى سنة ٣٢٣ ق.م.) وتراجان الإمبراطور الروماني (حتى ١١٧م) ومن بعدهما . وعثر في قلعة البحرين على نقد باسم الإمبراطور كاوزو (٦١٨ - ٦٢٦م) من أسرة تان الصينية مدون عليها العبارة بالصينية مع السنة ٦٢٨ . وهي تدل على العلاقة بين البحرين والصين في هذا العهد[٥] .

ازدهرت في منطقة الخليج قديماً دويلات لا تزال معلوماتنا عنها يسيرة جداً ونأمل أن تضاعف الحفريات المستمرة من معارفنا عنها . فسرجون الأكدي مؤسس الدولة الأكدية (نهاية الألف الثالث ق.م.) يذكر في كتابة متأخرة له أنه وصل إلى دلمون التي لابد وأن دفعته إليها أهميتها وثراؤها البالغ . ولم يذكر لنا سرجون أي شيء عن حكام دلمون وطبيعة علاقته معها . غير أن

حفيده الملك نرام سين يذكر سيره إلى دلمون وأسره لملكها نتيجة انتصاره عليه واسمه، حسب قوله، منّودنّو (معناها باللغة الأكدية من هو الثوري) .

ولا نعرف هل هو اسم هذا العاهل الدلموني أو أن هذه ترجمة الاسم إلى الأكدية من لغة محلية . فإذا كان هذا هو اسمه الحقيقي فمعناه أن اللغة الأكدية كانت معروفة وشائعة الاستعمال في دلمون آنذاك . ودون شك لابد وأن عرف سرجون ومن ثم عرف عن دلمون فسار إليها ولابد أنهما قد اصطدما بجيش دلمون وعقدا اتفاقاً لم يصل إلينا بعد . وفي عمان التي سماها نرام سين جبل النحاس لغناها بهذا المعدن المهم وقتذاك والذي أكدت الحفريات الحديثة في عمان وجوده واستثمار الأقدمين له .

فغنى عمان نظراً لوجود النحاس وموقعها التجاري الذي جر عليها ثراءً وأهمية لابد وأن كانا أسباب غزو هذا الملك لها .وذكر اسم الملك العماني الذي اصطدم به وهو مانيوم . ولم يتعرض نرام سين إلى أي تفصيل عن علاقته مع مانيوم ودولته ولا عن كيانه السياسي . فكانت كل من دلمون وعمان دون شك دولة ذات كيان رصين يرأسها ملك لا نعرف عنهما الكثير في الوقت الحالي .

استمرت العلاقة بين دويلات الخليج وبلاد الرافدين خلال الفترات اللاحقة فقد استورد جودية حاكم لجش (قرب الشطرة في جنوب العراق) النحاس من عمان وكذلك زمن سلالة أور الثالثة (٢٠٥٠ - ١٩٥٠ ق.م.) حيث زادت العلاقة التجارية زيادة ملحوظة . وإن ثراء المنطقة في العصر الأشوري المتأخر واضح في المواد الكثيرة التي نقرأ عنها في النصوص المتوفرة عن هذه الفترة خاصة من العصر السرجوني المتأخر (٧٤٥ - ٦١٢ ق.م.) ولنا خير دليل من الجزى التي كانت تقدم إلى الملوك الأشوريين وممتلكات مردوخ أبال ادّينا الكلداني من بيت يقين (الكويت الحالية) التي تركها . وكذلك من نصوص الفترة الكلدانية (٦٢٥ - ٥٣٨ ق.م.) والتي تعرف عن تجارة منطقة الخليج العربي بها واستيرادها من شرق أفريقية والهند بوجه خاص .

لم تقتصر الكيانات السياسية في منطقة الخليج على تلك الفترات القديمة

بـل ظلـت مكانـاً لنشـوء دول لـهـا قيمـة وأهميـة . ومـن هـذه دويلـة ميسـان (وعاصمتها عند كرخة ميسان التي تقع أطلالها عند موقع خيابير الحالية وهي المحمرة القديمة ، وربما هي نفسها ميلتين عند الجغرافي بطلميوس) خلال القرن الأول قبل الميلاد ومن ملوكها سباسينوس ثم ولده عبود - أبوداكوس باليونانية - وبترايوس الأول (الملقب بالخيِّر - يوريجيتس باليونانية) ونيسيوس الذي في عهده مر بمنطقة الخليج العربي أبولونيوس التياني (من تيانا وهي قزحصار الحالية في تركيا) المعروف بزهده ومعجزاته وعرف في الكتابات العربية باسم بالينـاس أو بيلينوس والذي تلقبه بصاحب الطلاسم وهو من أتباع المدرسة الفيثاغورية الحديثة ، ولا نعرف إن كان قد أدى أياً من أعماله الإعجازية (شعوذته) في منطقة الخليج العربي .

برزت في منطقة الخليج العربي مدن مهمة كانت لها أدوار ذات قيمة . ومن هذه مدينة الجرعاء والأبلة وسيراف وغيرها كثير . فالأبلة (أبولوجوس) كانت على غاية من الأهمية تجارياً وقد أطلق عليها فرج الهند أي ركيزة الهند نظراً للعلاقات القوية بينها وبين شبه القارة الهندية عن طريق الخليج العربي[٦] . واشتهرت الأبلة بجمالها الطبيعي حيث ورد في قول أبو بكر الخوارزمي (متنزهات الدنيا أربعة مواضع هي غوطة دمشق ونهر الأبلة وشعب بوان - قرب شيراز بإيران - وصفد سمرقند)[٧] .

عثر قريباً في إمارة أم القيوين بدولة الإمارات العربية المتحدة على بقايا في موقع يعرف حالياً باسم الدور - معناها البيوت - تعود إلى القرن الأول الميلادي لابد وان كانت جزءاً من حاضرة مهمة . فقد كانت المنطقة مدينة عامرة ومحطة لتجارة البخور والأحجار الكريمة والخشب والحلي والمنسوجات وغيرها . وإلى نفس الفترة تعود المقابر الغنية والمنازل التي تم العثور عليها في الموقع . وعثر الآثاريون الفرنسيون الذين نقبوا الموقع في عدد من البيوت التي اكتشفوها على نسور من الحجر تزين دار شخص يظهر ذا ثراء وأهمية ثم أدوات زينة وعملات معدنية من أجزاء مختلفة من العالم القديم وفخار متنوع من الشرق والغرب جُلب ، دون شك ، من مناطق متباعدة تمتد كما يبرز الدليل ،

من بلوجستان شرق إيران إلى روما بالغرب . كما عثر على هيكل عظمي لرجل وإلى جانبه خرز وخواتم من الفضة وأخرى من البرونز دفنت معه . كما عثر المنقبون البلجيكيون في موقع الدور هذا على بناية مشيدة من الحجر بجدران ملطخة بالجص يظهر أنه كان معبداً للإله شمش (الشمس) من القرن الأول مساحته حوالي ثمانية أمتار مربعة محاطة بمذابح لحرق البخور . كل هذه تدلل على أهمية الموقع التجارية والمدنية والتي لا نعرف اسمها القديم في الوقت الحاضر وعلاقاتها الواسعة الامتداد . وربما كان لها مكانة دينية لعبادة الإله شمش الذي نعرف عن شعبيته الكبيرة في العالم القديم وحتى أنه عبد بهذا الاسم في بلاد الرافدين .

كانت الجرعاء مدينة مهمة خاصة خلال القرون الثلاثة الميلادية الأولى اشتهرت وأثرَت من تجارتها خاصة العطور التي منها البخور الذي كان على غاية من الأهمية بالعصور القديمة . واجتهد الساسانيون الذين حكموا بإيران من ٢٢٤ حتى تشريف المنطقة بالإسلام، في إحكام سيطرتهم وترسيخ نفوذهم في منطقة الخليج العربي . ومن الحقائق المهمة والتي تدلل على قوة وشكيمة سكان منطقة الخليج العربي أن الساسانيين كانوا يلتفتون للخليج والتدخل بشئونه عندما يشعرون بالقوة وعدم وجود القلاقل في الداخل والأخطار من الخارج خاصة من جانب الرومان وخلفائهم البيزنطيين . فكان الخليج مركز فعاليات الساسانيين البحرية . ويظهر أن القطيف (في المملكة العربية السعودية) كانت مركز الأسطول الساساني غير أن قيمة الساسانيين البحرية في أيامهم الأخيرة (الفترة التي سبقت دعوة الرسول الكريم) كانت ضعيفة . ويدلل على هذا الضعف أن العرب لما تقدموا على الأبلة (عند كوت الزين جنوب أبي الخصيب بقليل) خلال الفتوحات الإسلامية لم يجدوا أي أثر للأسطول الساساني .

استقرت قبائل كثيرة على الساحل الغربي من الخليج العربي ذكر بعضها الموسوعي الروماني بلني الكبير (توفى سنة ٧٩م) وبطليموس في أواسط القرن الثاني . وقبلهما ذكرت الحوليات الأشورية المتأخرة قبائل عدة قطنت منطقة الخليج العربي (القطر البحري) . واستمر تدفق القبائل العربية على

سواحل الخليج العربي دون توقف . فقد كان عرب الجزيرة العربية في الفترة التي سبقت الإسلام على معرفة بمناطق الخليج وأحوالها نرى ذلك موضحاً بأشعارهم وتنقلاتهم . فقد ذكر امرؤ القيس جبلي سنار ويذبل في البحرين :

على فطن بالشيح أيمن صوبه
وأيسره عند السنار ويذبل

ويظهر أن امرؤ القيس كان عارفاً وملماً بأحوال البحرين . فقد تعرض إلى أقوام كانوا يعيشون في البحرين أمثال بني يامن من هجر الذين اشتهروا ببناء وركوب السفن وزرع النخل وفي بيت تعرض امرؤ القيس إلى استخدام الأخيرين لبني الربداء الذين نسبوا إلى الحبشة لحماية نخلهم :

أو المكرعات من النخيل بن يامن
عرين الصفا اللائي يلين المشفرا
حمته بنو الربداء في آل يامنٍ
بأسيافهم حتى أفر وأوقرا
طافت به جيلان عند قطاعه
تردد فيه العين حتى تحيرا

وقيل أن الجيلان هم قوم استخدمهم كسرى فارس في البحرين ليزرعوا له النخل ويعتنوا به . كما ورد في شعر امرئ القيس ذكر ابراجم ويربوع وهما قبيلتان من تميم كانوا قد خذلوا شرحبيل بن عمرو يوم كلاب فدعا عليهم بالذل :

ألا قبح الله البراجم كلها
وجدّع يربوعاً وعفّر داريا

ويحفظ لنا التاريخ سكنى رجال ذوي قيمة ومركز كبيرين في البحرين ومنهم عدي بن زيد وهو الشاعر المسيحي من العصر الذي سبق الدعوة الإسلامية الكريمة . وقد استوطن عدي الحيرة عاصمة المناذرة بالعراق وقربه الفرس وقيل أنه أول من كتب باللغة العربية في إيوان كسرى بالمدائن عاصمة الفرس الشتوية ، (تقع أطلالها على بعد حوالي ٢٠ كم جنوب بغداد) ، وذكر أنه ظل بعد اعتزاله يقيم في الحيرة شتاء وفي البحرين صيفاً لحبه ديار بني يربوع وتميم . ومما زاد من مكانة عدي هو زواجه من هند ابنة النعمان بن المنذر ملك الحيرة .

كما استوطن في البحرين الشاعر المخضرم قيس بن الخطيم، وكان شاعراً مطبوعاً أعجب بشعره الرسول الكريم . فنقرأ في رواية أن قيساً هذا قد فتك

بقاتل والده وكان رجلاً اسمه العبدي بن عبد القيس سكن في نواحي هجر بالبحرين . فقد وصل قيس إلى دياره وقتله بمعونة شخص اسمه خداش(٨) . كما زار البحرين أيضاً خلال الفترة التي سبقت الإسلام الشاعر ميمون المكْني بأعشى قيس لضعف بصره التي عرج منها على عمان أيضاً حيث قال :

وقد طفت للمال آفاقه

عمان فحمص فأوريشيليم

وقوله :

فإن تمنعوا منا المشقر والصفا

فإنا وجدنا الخط جم نخيلها

فإن لنا درني فكل عشية

يحيط إلينا خمرها وخميلها

وسرت المقولة أن البيع في سوق المشقر بالبحرين كان يتم بالإطراء والهمهمة أي عدم القسم كذباً أو بعلامة البضاعة المباعة . وهذا يدلل على حسن المعاملة في هذا السوق من قبل تجاره والثقة اللامتناهية بالتعامل به . واشتهرت مدينة دارين بالبحرين بسوقها وتجارتها حيث كان يحمل إليها المسك من الهند حتى أن العطار باللغة العربية سمى دارين على اسم هذه المدينة نظراً لشهرتها . وروي عن الرسول الكريم القول "**مثل الجليس الصالح مثل الداري إن لم يحذك في عطره عِلِقك من ريحه**".

ربما أسكنت الدولة الساسانية منطقة الخليج بأقوام أجنبية اعتمدت عليهم في السيطرة والإدارة . ومن هؤلاء الزط حيث كان لهم مركز في البحرين كثر به عددهم قبل البعثة النبوية الكريمة . ويبدو أن الزط كانوا يتضامنون مع العرب أحياناً ضد عدو مشترك . فالزط في البحرين حالفوا قبيلة عبد القيس . وورد في بيت إلى عوهم بن عبد الله بذلك :

ويُغني الزط عبد القيس عنا

وتكفينا الأسامعة المزونا

كما حالف الزط قبيلة تميم وناصروهم في حروبهم القبلية حيث ورد في قول الشاعر:

فجئنا مجيبي وائل وبلفها

وجاءت تميم زطها والأساور(٩)

والزط من الأقوام الهندية المحاربة الذين وصلوا منطقة الخليج العربي من البنجاب وبلوجستان وسكن بعضهم المدن والقرى على طول الساحل من الأبلة إلى عمان . وكانت دولة بني ساسان تستخدمهم في جيشها مما يعزز

احتمال جلبها لهم أو تأييدهم الكلي خلال استقرارهم في المنطقة . وأهم مركز لهؤلاء الزط كان إلى جانب البحرين في الأحواز[١٠] . سكن البحرين أيضاً قوم آخرون قدموا من الهند أيضاً يطلق عليهم السبابجة أو السبايجة جيء بهم من منطقة السند وسكنوا إلى جانب البحرين في الأبلة والسواحل والشواطئ عند القطيف بالمملكة العربية السعودية ودارين وهجر والخط وقطر[١١] وعملوا في الغالب بحراسة السفن .

قطنت سواحل الخليج العربي والبحر العربي خلال الفترة التي سبقت الإسلام جماعة أطلق عليها اسم الأساورة اعتنقت جماعة منهم الإسلام . وأساورة جمع لأسوار ومعناها في اللغة السنسكريتية راكبو الخيول . وهم خليط من أقوام عدة وشكلت الدولة الساسانية منهم فرقة خاصة وبينهم فرسان هنود . وكانت الأبلة أكبر مراكز تجمعهم وحتى أنهم كانوا منتشرين في كثير من أجزاء الخليج العربي وتصرفوا كممثلين عن المحتلين الفرس[١٢] . وحتى قيل أنه لما وصل كتاب الرسول الكريم إلى عمان يدعوهم فيه للإسلام لم يكن هناك من يقرأه فتلاه ولد منهم . وكان على عمان أسوار من أساورة كسرى[١٣] .

انتشرت المسيحية في قطر خلال الفترة التي سبقت الإسلام . ونقرأ أن مجمع الناطرة الأول سنة ٥٨٥ طلب إلى أهل قطر ترك العمل يوم الأحد[١٤] . وظهر بين مسيحيي قطر علماء برزوا في اختصاصاتهم . ومن علماء المسيحيين القطريين خلال القرن السادس الميلادي إبراهيم برليفي الذي عين مفسراً في مدرسة سلوقية على دجلة وألف كتباً وصل إلينا منها شرح الطقوس وهو شرح صوفي رمزي بسيط في أسلوبه سلس مشوق القراءة ويظهر أنه وصل إلى متناولنا ناقصاً[١٥] . والعالم الآخر برز خلال القرن السابع داد يشوع الذي وضع شرحاً لكتاب فردوس المغاربة والذي هو بالواقع كتاب فردوس الآباء تأليف بلاديوس الذي نقله إلى الأرامية عن يشوع . وله أيضاً كتب في السيرة الصالحة وشرح لكتاب الأنبا أشعيا الناسك ومقالات حزينة ورسائل وأسئلة في الراحة والعمل[١٦] .

كانت بعض معارك الفترة التي سبقت الإسلام والتي تسمى بأيام العرب نظراً لوقوعها خلال النهار قد وقعت في

منطقة الخليج العربي . فالفوضى التي عمت الدولة الساسانية أيام الملك قباذ بن فيروز نتيجة تأييده للمزدكية أثرت على القبائل العربية . فطلبت الأخيرة من الحارث بن عمرو المنصور بن حجر آكل المرار أن ينصب أبناءه عليهم . فوضع ابنه حجر على بني أسد وسعد وابنه سلمة على قيس غيلان وغطفان وابنه شرحبيل على بكر بن وائل إلخ . غير أنه سرعان ما شبت الحرب بين الأخوين شرحبيل وسلمة فاصطدمت جيوشهما في موقع كُلاب الذي قد يكون على مسافة ٢٠٠ كم من اليمامة باتجاه الساحل وكان النصر حليف سلمه وقتل شرحبيل وتألم سلمة ومعد يكرب لمقتل أخيهما هذا . ونسبت إلى جابر التغلبي أبيات يصف بها معركة كلاب ورد فيها :

فيوم كلاب قد أزاحت رماحنا
شرحبيل إذ آلى إليه مقسم
لينتزعن أرماحنا فأزاله
أبو حنش عن ظهر شقاء ملدم
تناوله بالرمح ثم انثنى له
فخر صريعاً لليدين وللفم[١٧]

ثم المعركة في موقع قده الغزير الماء بين تميم وقبائل مذحج وقضاعة وحلفائهما وهناك المعركة بين المنذر بن ماء السماء من جهة وبني سلمة عند جبل أوارة الواقع في ديار بني تميم بالبحرين . وقد انتصر المنذر وأسر الكثيرين وذبح أكثر عند ذلك الجبل . وقيل أنه أمر بحرق النساء حتى تشفع لهن عنده رجل من قيس فأطلقهن وفي هذا قال أعشى قيس :

ومنا الذي أعطاه بالجمع ربه
على فاقة وللملوك هباتها[١٨]
سبايا بني شيبان يوم أواره
على النار إذ تجلى به فتياتها

أما موقعة أوارة الثانية فوقعت في ديار تميم بالبحرين أيضاً . وكان السبب الدافع هو أن عمرو بن المنذر بن ماء السماء المعروف بعمرو بن هند هاجم قبيلة حلي حوالي سنة ٥٧٥م رغم وجود عقد له معهم وقال شاعر طي قيس بن جروه في ذلك :

إلى الملك الخيِّر ابن هند تزوره
وليس من الفوت الذي هو سابقه
فهبك ابن هند لم تعفك ملامة
وما المرء إلا عهده ومواثقه

وكنـا أناسـاً خـافضين لنعمـة
يسيل بنـا تلـع المـلا وأبارقـه
فأقسمت لا أحتـل إلا بصهـوة
حـرام علينـا رملـه وشقائقه
فأقسمت جهداً بالمنازل من منى
وما خب في بطحـائهن درادقـه
لئن لم تغير بعض ما قـد فعلتم
لانتحين العظـم ذو أنا عارفـه

فوصل الشعر لعمرو بن هند وحرضه زرارة بن عدس على الانتقام لأنه يتوعده في شعره .فغزا عمرو قبيلة طي وأسر من بني عدي (بطن من طي) سبعين رجلاً . ومرة كان المنذر بن ماء السماء (والد عمرو بن هند) قد ترك ولده مالك عند زرارة . ولما صار مالك رجلاً مر بإبل لسويد بن ربيعة (من دارم وهي بطن لتميم) زوج ابنة زرارة فأساء معاملة مالك حيث شد عليه بعصا حتى مات . وهرب سويد خوفاً من الانتقام . فانتهزت طي الفرصة لتوقع بين عمرو بن هند وبين زرارة بسبب قتل صهره لأخ الملك . وأخيراً سلم زرارة نفسه لعمرو الذي أخبره باستحالة إحضار سويد القاتل فطلب عمرو بدله أولاد سويد السبعة فقتلهم وأحرق ثمانية وتسعين رجلاً من بني دارم بأسفل جبل أوارة . وعرف هذا الحرق بيوم أوارة الثاني . وعلى أثر ذلك غزت تميم قبيلة طي انتقاماً[١٩] .

ثم المعركة بين بني عامر وتميم، حيث انتصرت بنو عامر في يوم رحرحان وأسروا جماعة من أشراف تميم كان منهم معبد بن زرارة الذي طلبت بنو عامر فدية كبيرة لإطلاق سراحه . ولما رفض أخو معبد واسمه لقيط دفع أكثر من الفدية المقررة تركه بنو عامر حتى مات جوعاً . فشن لقيط حرباً على بني عامر للثأر لأخيه وساعدته بذلك قبائل بنو أسد وشيبان وأرسل إليه الجون الكلبي ملك هجر والنعمان بن المنذر بجيشين وانتصرت بنو عامر في يوم شعب جبلة[٢٠] .

من أيام العرب التي وقعت معاركها في منطقة الخليج في الغالب كانت يوم الوقيط الذي يقع بمكان ما على الساحل بين تميم من جهة وقبائل غزة وتيم الله وقيس من جهة أخرى . ويوم ثيتل (ويسمى يوم النباج) الذي وقع على الأكثر في الكويت الحالية بين بطون من تميم تسمى المتاعس وتضم صريم، ربيع وعبيد وبني الأجارب (تضم بطون جما، ربيعة، مالك والأعرج) . ويوم جدود ربما

في مكان بالأحساء الحالية عندما هزمت بنو فقر كلاً من بني الربيع وبكر بن وائل (٢١) . ثم يوم ذي طلوح سمي نسبة إلى موقع يقع على الأرجح في منطقة الخليج العربي بين بطون من بني يربوع من جهة وبكر بن وائل من جهة أخرى . نتيجة مشادة بين عميرة بن طارق من بني يربوع مع أخ زوجته أبجر بن جابر من بني عجل (بطن من بكر) .

ويوم الأياد (سمي يوم العظائي أيضاً) نتيجة هجوم بطون من بكر بن وائل على بطون من تميم عند موقع الأياد في الغالب بمنطقة الخليج العربي . ثم يوم الغبيط عند موقع الغبيط بمنطقة الخليج باتجاه اليمامة . وكان السجال نتيجة غزو بسطام الشيباني ومعزوق بن عمرو مع جماعة من شيبان لبلاد من تميم وكانت خسارة للشيبانيين . ويوم قشاوة عندما غزا بسطام من بني يربوع مع جماعة من بني شيبان وكان الفوز للأخيرين . ويوم زبالة عندما أغارت جماعة من تميم برئاسة شخص اسمه الأقرع على بكر بن وائل الذي لم تفلح به تميم . وموضع زباله ربما بين الكويت والأحساء . ثم معركة مبايض بين شيبان من جهة وتميم من جهة أخرى وكان النصر النهائي للأخيرة (٢٢) .

ومن المعارك المهمة يوم الزويرين بين بكر بقيادة عمرو بن قيس بن مسعود الشيباني من جهة وتميم من جهة أخرى، وقد دفعت تميم ببعيرين بمياه الزويرين (الزورين) في وسط المعركة وأخذوا يدورون حولهما تعبداً . وأحضرت بكر برجل مسن منها يدعى الأصم كانت تحترمه ووضعوه مقابل الزويرين . وقد انتصرت بكر وذبحت البعيرين . ثم معركة الشيطين (الشطين) وقعت بمنطقة الخليج في الطريق إلى اليمامة والشيطين واديين أجدبا فهجرتهما بكر بن وائل إلى العراق وسكنت مكانهم بطون من تميم . وحدث أن أخصب الشطين وأجدبت أراضي بكر في العراق فتوجهت لاسترجاع أراضيها الأولى من تميم وكان النصر حليف بكر . أما معركة ذي نبجي فكانت بين تميم من جهة وبني عامر من جهة أخرى وكان النصر حليف تميم (٢٣) . ثم المعركة بين قضاعة وكندة بقيادة رئيسها حجر آكل المرار عندما هجمت الأخيرة على البحرين وكان النصر في البداية حليف قضاعة فسبي نساء كندة التي كانت

بينهم زوجة حجر . ولما سمع الأخير صمم على الانتقام ونزل مع رجاله وحلفائه من بكر وتغلب عند موقع البردان . ونتيجة التفاوض بين الطرفين وافق زياد رئيس قضاعة على إعادة الأسرى من النسوة والإبل . ولكن سرعان ما عادت العداوات وانتصر حجر وقبض على زوجته التي ربطت بين فرسين ركضهما حتى قطعاها بسبب كلامها خلال الأسر ضده . ثم يوم شعب طنحفة عندما أراد الملك المنذر بن ماء السماء أن يستبدل رديفه (بمثابة الوزير) بآخر من غير بني يربوع من تميم نتيجة وفاة رديفه السابق . فثار اليربوعيون واصطدم المنذر بهم في شعب طنحفة الواقع في منطقة من الأحساء والقطيف وانتصر اليربوعيون ورجعت الردافة لهم[٢٤] .

ذكر أن كسرى بعث بعيراً إلى عامله في اليمن مع جيش عهد بقيادته إلى باذان (باذام) . وهنا اقنع رجل اسمه هوذة الأساورة أن يعطوه المال الذي يبغون تسليمه إلى تميم حتى يمروا بمنطقتهم في سلام إليه وهو يوصلهم بسلامة إلى المنطقة التي يريدون الوصول إليها . وسمعت تميم بالأمر فخرجت وقتلت أغلب الأساورة وأسروا هوذه الذي افتدى نفسه بثلاثمائة بعير سلمه لتميم في هجر . ثم ذهب هوذه إلى من بقي من الأساورة وكساهم واصطحبهم إلى كسرى وشكاه الذين سرقوا البعير وقتلوا الأساورة مدعياً أنهم قتلوا من قبل والده ودبر مؤامرة للفتك بهم عند نزولهم المشقر بالبحرين . ونجحت المكيدة في البداية ولكن سرعان ما انكشفت فثأرت بنو تميم لقتلاها[٢٥] .

من المعارك المهمة التي شهدتها منطقة الخليج العربي معركة سلوت قرب قلهات في الجوف ربما حوالي سنة ٥٣٦م والتي انتهت باندحار الفرس . ويذكر أن مالك بن فهم الأزدي تحصن قرب قلهات في شط عمان لاستراتيجية الموقع وجعل على مقدمة جنده ابنه هفانزه بألفي فارس ونزل هو بناحية الجوف وطلب من الفرس النزول بأحد مناطق عمان ويسمحوا له بالماء والمرعى حتى يقيم معه . ورفض مرزبان عمان الفارسي طلب مالك فبعث إليه مالك بطلب وضح به رغبته بالنزول في عمان سلماً وإلا سيضطر إلى الحرب . وتهيأ المرزبان للقتال وجمع بين ٣٠ - ٤٠ ألف رجل حسب الادعاء ومعهم الفيلة ونزل بصحراء سلون قرب نزوى . ولما علم مالك تقدم إليه بجيش قوامه ستة آلاف وعسكر إزاءه . وحمل العرب على

الفيلة فرشقوها بالسهام فهربت واستمرت المعركة ثلاثة أيام . ورغم انتصار العرب فقد عقد مالك الصلح مع الفرس قيل إنه أعطاهم فرصة سنة للخروج من عمان ويدفعوا له الجزية .

وفعلاً انسحب الفرس إلى صحار وما حولها من الشطوط والسواحل وسكن الأزد في أرجاء عمان . ويقال أن هذه المعركة هي التي أنهت سيطرة الفرس على عمان(٢٦) . وصحار كانت مدينة مهمة في عمان مدحت المصادر هواءها وخيراتها وكثرة سلعها وعظم سوقها وكون بنائها من الآجر وخشب الساج . وكان لها سوق تجاري يقام بعد سوق هجر وتقيم سوقها حتى نهاية شهر جمادى الآخرة تعرض خلالها بضائع من الهند والحبشة والصين . وترينا هذه الحقائق سبب انسحاب الفرس . وكانت في عمان مدن أخرى مثل نزوى، سلوت، سحد الشان، آدم وحفيت إلخ .

ومن الحقائق أن عمان قد آمنت منذ بداية الدعوة الإسلامية الكريمة حتى نسب إلى الرسول الكريم القول "رحم الله أهل الغبيراء آمنوا بي ولم يروني"، حيث أرسل الرسول ﷺ عمرو بن العاص إلى عمان الذي ساعده ولدا الجلندي (جيفر وعبد) . وأرسلت عمان وفدين إلى المدينة المنورة برئاسة أسد بن يبرح الطاحي والثاني برئاسة سلمه بن عياذ الأزدي . وظلت السلطة في عمان بيد آل الجلندي زمن الخلفاء الراشدين رغم وجود أخبار تفيد أن الخليفتين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب قد عينا ولاة على عمان غير أن مصالح أسرة آل الجلندي ونفوذهم ظلا كبيرين كما ساهم أهل عمان بقبائلهم في حروب التحرير والفتح بالمشرق .

د. سامي سعيد الأحمد

أستاذ كلية الآداب - جامعة الفاتح

طرابلس - ليبيا

الهوامش

١ - ابن قتيبة الدينوري، كتاب المعارف، (القاهرة، ١٩٦٠) ص ١٤ .

٢ - البكري، معجم ما استعجم، ج ١، (القاهرة، ١٣٦٤هـ) ص ٤٦ .

٣ - James P Richard, Ancient Near Eastern Texts Related to the Old Testament, (Princeton, 1955), p. 44.

٤ - Pierre Montet, Eternal Egypt, (N.Y.,1964), Tran. By Doreen Weightman, p. 124 .

٥ - مونيك كيرفان، ارليت تيجر وميشيل بيرازولي، حفريات قلعة البحرين ١٩٧٥ - ١٩٧٩ (البحرين، ١٩٨٢) ص ٥٤ .

٦ - الدكتور مقبول أحمد، العلاقات التجارية بين الهند والعرب، ثقافة الهند، مجلد ١٦، عدد ١، (١٩٦٥) ص ٣٦ .

٧ - الشيخ ناصف اليازجي، العزف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، (بيروت، بلا) ج٢ ص ٥٨؛ أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، لطائف المعارف، (القاهرة، ١٩٦٠) ص ١٥٧ .

٨ - كتاب الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ج٣ (بيروت، ١٩٧٤) .

٩ - قاضي أطهر المبارك أوري، من النارجيل إلى النخيل، ثقافة الهند، مجلد ١٦، عدد ١ (١٩٦٥) ص ١٠ .

١٠ - ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٤٣ .

١١ - قاضي أطهر المبارك أوري، السالفة الذكر، مجلد ١٦، عدد ٢، (١٩٦٥) ص ٤٠ وما بعدها .

١٢ - قاضي أطهر المبارك أوري، السالفة الذكر، مجلد ١٦، عدد ١ (١٩٦٥) ص ٥١ .

١٣ - الحافظ بن حجر، الإصابة، ج ٤، ص ١٠٥ ؛ ابن عبد البر، الاستيعاب على هامش الإصابة، ج ٤، ص ١٠٧ .

١٤ - لويس شيخو، النصرانية وأدباؤها، (بيروت، ١٩١٢) ج ١، ص ٧١ .

١٥ - الآب البير أبونا، أدب اللغة الأرامية، (بيروت، ١٩٧٠) ص ١٩٢ - ١٩٣ .

١٦ – نفسه، ص ٣١٤ – ٣١٥ .

١٧ – الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت، ١٩٥٧) ج ٦ ص ٤٧٢ – ٤٧٣ ؛ الأصفهاني، الأغاني، السالف الذكر، ج ١٢، ص ٢٠٧ – ٢١١ ؛ محمد أحمد جاد المولى وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، (القاهرة، ١٩٤٢) ص ٤٢ .

١٨ – محمد أحمد جاد المولى وآخرون، السالف الذكر، ص ١٢٤ – ١٣١، ص ٩٩ .

١٩ – نفسه ص ١٠٠ – ١٠٦ .

٢٠ – ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج ٦، ص ٨ – ٩ ؛ الأغاني للأصفهاني، ج ١١، ص ١٠٧ و١٢٥ .

٢١ – محمد أحمد جاد المولى، السالف الذكر، ص ١٧٠ – ١٧٤ ؛ ١٧٥ – ١٧٧ ؛ ١٧٨ – ١٨١ .

٢٢ – نفسه ، ص ١٨٤ – ١٩٠ ؛ ١٩٤ – ١٩٦ ؛ ١٩٧ – ٢٠٠ ؛ ٢٠١ – ٢٠٥ ؛ ٢٠٦ – ٢٠٧ ؛ ٢٠٨ – ٢١١

٢٣ – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٣٦٨ ؛ محمد أحمد جاد المولى وآخرون، السالف الذكر، ص ٢١٧ – ٢١٩ ؛ ٣٦٥ – ٣٦٧ .

٢٤ – محمد أحمد جاد المولى، نفسه، ص ٤٢ – ٤٥ ؛ ٩٤ – ٩٨ .

٢٥ – الطبري، ج ٢، ص ١٧٠ ؛ عادل جاسم البهائي، كتاب أيام العرب قبل الإسلام لأبي عبيدة، القسم الأول، (بغداد، ١٩٧٦) ص ٤٢٦ – ٤٢٨ .

٢٦ – الأزكوي، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق عبد المجيد القيسي (عمان، ١٩٨٠) ص ٢٠ – ٢٥ .